جائحة كوفيد 19 وإرهاصات تحول ثلاثي: المجال، والرابط الاجتماعي والسلطة

Coved19 pandemic and harbingers of the triple transformation: space, social link and authority

أ.د ارحالي ميلود ,[1] أ.د بولوح إبراهيم [2]

[1] وزارة التعليم الوطنية (المغرب) rahali2011@gmail.com

[2] وزارة التعليم الوطنية (المغرب) boulouh2016@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2020/04/15 تاريخ القبول: 2020/05/17 تاريخ النشر: 2020/06/30

ملخص:

غاية هذا المقال هي الوقوف عند تطورات اجتياح وباء كوفيد 19 باعتبارها ظواهر اجتماعية وسوسيو مجالية، وذلك باستدعاء بعض المؤشرات (إرهاصات)، التي نعتبرها دالة، في مستويات مجالية ثلاثة: الكوني والمحلي والأسري، والعمل على تفكيكها وفق نسق مفاهيمي مشكل من ثلاثة مفاهيم/ باراديغمات متداخلة فيما بينها، إذ يصعب الحديث عن أحدها بخصوص كل علاقة مفترضة بين طرفين أو أكثر، دون الإتيان على استدعاء المفاهيم الأخرى. ويتعلق الأمر بثلاثية المجال والرابط الاجتماعي والسلطة.

كلمات مفتاحية: كوفيد 19، إرهاصات التحول، المجال، الرابط الاجتماعي، السلطة.

Abstract: The aim of this article is to stand at the developments of the invasion of the corona virus pandemic as social socio spatial phenomenon by invoking some indicators (harbingers), which we consider to be significant , in three spatial levels :universal, local, family, and working to dismantle them according to a conceptual system formed from three nested concepts / paradigms among them, therefore it is difficult to talk about one of them regarding each assumed relationship between two or more parties, without calling the other concepts. It is about triple space, social link and authority.

Keywords: Covid19, The harbingers of transformation, Space, Social link, Authority.

***Corresponding author**: ERRAHALI MILOUD, **e-mail:**rahali2011@gmail.com.*

المقدمة

لا يحدث التغير الاجتماعي، بنيته ونسقه وروابطه، دفعة واحدة، بل يتطلب ذلك زمنا كافيا، وتتخلل هذا الزمن قطيعات، كما تعتريه فترات استمرارية. ولا يحدث التغيير إلا بتدخل عوامل متعددة (داخلية وخارجية، مرغوب فيها وغير مرغوب فيها..)[1]، وهي كلها مؤثرات أساسية تتظافر لكي تفضي إلى التغير الاجتماعي كما يوضح أنتوني غيدنز(Anthony Giddens) [2].

تتمثل إشكالية الموضوع المثار في هذه المقالة في محاولة رصد مؤشرات وإرهاصات كونية ومحلية داعمة لنظام عالمي في إطار التشكل والانبناء منذ زمن. فمع اجتياح كوفيد19، تثبت الوقائع أن ثمة سياق تاريخي وحضاري يستجمع مكوناته. أوربا اليوم في أسوأ مرحلة من تاريخها المعاصر، ورصيدها الاقتصادي والسياسي والديمغرافي يشهد هدرا غير مسبوق سيكون له ما بعده، ومسلسل الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين في مراحله المتقدمة. وبين هذا وذاك، تترقب الدول النامية، وتستجمع ما تبقى من مؤهلاتها الاجتماعية التي تتثبت اليوم واجب العودة إلى المحلي لتثمين مقوماته. وغير بعيد عما يعتمل في هذين المستويين من المجال (الدولي والمحلي)، تدخل الأسرة بشكل عام، والمغربية بشكل خاص، مختبرها الحقيقي في فترة استثنائية (الحجر الصحي) لتضطر إلى مراجعة وترتيب أدوارها ومسؤولياتها وفق ما تنبني عليه من روابط اجتماعية وسلط.

فهل يمثل زمن اجتياح الوباء زمن القطيعة والانتقال إلى مجتمع ما بعد الجائحة؟ أو على الأقل، مظاهر إرهاصات نظام عالمي مختلف يعلن عن نفسهبين آلاف الجثث المتناثرة، والآهات العابرة للقارات، والعجز الواضح عن إيقاف الجائحة.

الأهداف

هذه الورقة هي محاولة للفت الانتباه إلى جائحة كورونا وفعلها التغييري الذي أعاد لساحة النقاش والجدل الفكري والثقافي والعلمي استحكامات مستويات مجالية مختلفة من خلال مساءلة روابطها الاجتماعية وتراتباتها وأنساق سلطها بدءا من المجال الكوني، بإعادة النظر في علاقة الدول والأقطاب والاتحادات فيما بينها، ارتباطا بتأثير جائحة كورونا على قيمة ومعنى الاتحاد والعيش المشترك على سبيل التمثيل لا الحصر. والتساؤل في ما إذا كانت لحظة زوال الوباء ستكشف عن الخيارات التي ستعبر عنها الدول في استمرارها داخل تحالفات إقليمية وقارية أو تغيير الوجهة من خلال التعاقد مع دول وأقطاب وقوميات أخرى، مما

سيعيد رسم خارطة جيوسياسية جديدة. كما من المحتمل أن تعيد البشرية جمعاء التفكير في طريق جديد تتخلى عبره عن العقيدة النيوليبرالية لغاية التوصل إلى اتفاق سياسي اجتماعي بيئي جديد.

ومرورا بالمجال المحلي/الوطني: ارتباطا بعلاقتين:

- علاقة الأفراد بالسلطة، من خلال محاولة قراءة جملة التدابير الاحترازية وأنماط فعل السلطة إزاء الجائحة الراهنة. والتساؤل أيضا من خلال هذه اللحظة حول حيثيات بروز الوجه "الملطف" palliatif لهذه الأخيرة اتجاه المواطنين، وعن مدى استحالتها لفرصة "مصالحة تاريخية" بين الطرفين، خاصة وأن العلاقة قبل زمن الكورونا غالبا ما كانت تنطبع بثلاثية الخوف والحذر وانعدام الثقة إزاء السلطة داخل المجتمع.
- علاقة الأفراد فيما بينهم، إذ تعالت مغربيا بعض الأصوات، موظفة اللحظة الراهنة لوباء كورونا وتداعياته، للنيل من بعض التنظيمات السياسية والدعوية والمدنية. أو في تمثلات فئات مجتمعية عريضة لفئات أخرى من داخل المجتمع، مثل تمثلات الأفراد لرجال التربية والتعليم والوقاية والصحة والأمن وللمشاهير والفنانين وغيرهم.

وانتهاء بالمجال الأسري، من خلال محاولة الكشف عن تداعيات الوباء وتأثيره في الوسط الأسري في ارتباط ذلك بالأدوار الزوجية وبالزمن الاجتماعي لتلك الأدوار، فضلا عن تمثلاتنا الاجتماعية لها قبل زمن الكورونا وبعده. ومحاولة النظر أيضا في مدى إتاحة هذه اللحظة الزمنية الفرصة لمختلف الأفراد لإعادة النظر في هوية الفرد وفي علاقته بالأفراد الآخرين داخل الأسرة الواحدة.

المفاهيم الرئيسية

يرتبط الموضوع بثلاثة مفاهيم أساسية مترابطة فيما بينها بشكل لا يقبل الانفكاك؛ المجال –السلطة – الرابط الاجتماعي. فالمعمار المجالي، كما يسميه بول كلافال (Claval Paul)، لا يستقيم إلا في إطار حسن استعمال السلطة في تنظيم العلاقات الاجتماعية، إذ ليس في المجال حرية بدون حد أدنى من التنظيم[3]. فعلاقة المجال بالسلطة علاقة جدلية معروفة، ومن يتملك أحدهما يتملك الآخر، والروابط الاجتماعية هي بمثابة ظواهر اجتماعية لتجسيد الرموز، فحسن تنسيقها يفضي حتما إلى تملك السلطة والمجال معا.

مفهوم الرابط الاجتماعي

تنبع أهمية هذا المفهوم من الأهمية ذاتها التي أولاها السوسيولوجيون الأوائل للمجتمع، إذ تَرَكزَ سؤالهم في بدايات التأسيس على كيفية ارتباط الأفراد فيما بينهم داخل المجتمع. وتجدر الإشارة إلى أن مبرر هذا التساؤل هو أن السوسيولوجيا ذاتها ارتبطت بالثورة الفرنسية وبمختلف التغيرات الاجتماعية والحركات والأزمات وصراع الطبقات، ولذلك سارع دوركهايم (Emile Durkheim) إلى اعتبار وظيفة الرابط الاجتماعي le lien social تتمثل في توحيد الأفراد والجماعات الاجتماعية وضمان تعايشهم من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمع (الأسرة، المدرسة..)، وعبر تقسيم العمل من خلال حديثه عن التضامن العضوي والتضامن الآلي. واليوم أصبح هذا السؤال أكثر إلحاحا لاسيما مع مختلف أشكال الفردانية التي باتت السمة الأساس لمجالات وجودنا بما تشكله العلاقات الاجتماعية المتفاعلة داخلها من تشييدات اجتماعية.

في مستهل كتابه «الرابط الاجتماعي» سجل بوكام (Serge Paugam) أن مفهوم الرابط الاجتماعي اليوم أصبح لا ينفصل عن وعي المجتمعات بذواتها وكذلك عن استعمالاتها الحالية لهذا المفهوم، والذي يمكن اعتباره بمثابة تساؤل حول ما الذي يمكن أن يُكَوِنَ المجتمع داخل عالم يبدو فيه تطور الفردانية أمرا لا مفر منه[4]. وفي معرض حديثه عن الرابط الاجتماعي المميِز للمجتمعات المعاصرة والمتشكِل من خلال تقاطع entrecroisement روابط متعددة اقتبس بوكام تشبيها جميلا لنوربرت إلياس في كتابه «مجتمع الأفراد» وهي صورة معبرة عن تعقد الترابطات بين الأفراد يقول: " تتشكل الشبكة filet من خلال مجموعة من الخيوط المترابطة فيما بينها. غير أن مجموع هذه الشبكة أو الشكل الذي يتخذه داخلها أحد هذه الخيوط لا يمكن تفسيرهما من خلال خيط من هذه الخيوط أو من خلال كل هذه الخيوط فيما بينها. إنها تُفَسَرُ فقط من خلال ارتباطها وعبر العلاقة التي تربط فيما بينها"[5]، لذلك فليس من الغريب اليوم أن نسمع عبارات من قبيل «أزمة الرابط الاجتماعي» وعن ضرورة «إعادة نسج» أو «إعادة عقد» الرابط الاجتماعي. إن هذا المفهوم اليوم يكثر ترداده، وبشكل أكثر إلحاحا لحظة زمن الكرورنا، للدلالة في نفس الآن عن الرغبة في العيش المشترك، والإرادة في إعادة ربط الأفراد المتفرقين، والأمل في تماسك أعمق للمجتمع في كليته[6].

مفهوم السلطة

شأنه شأن المفهوم الذي قبله، مفهوم السلطة هو مفهوم معقد وحمَّال لأوجه معرفية وعلمية عديدة في حقول العلوم الاجتماعية، وبالتالي ما يهمنا من هذه التباينات المفاهيمية، هو ما يرتبط بالثلاثية

المفاهيميةالمؤطرة لموضوع الدراسة. ومن المفاهيم والمصطلحات المسايرة لهذا المفهوم، مفهوم القيادة، لكون السلطة تدرج تحت جناحيها الأنماط المختلفة للسلطة في الروابط الاجتماعية الممكنة، والسلطة اجتماعية بطبيعتها، إذ لا يتصور وجود سلطة خارج الروابط الاجتماعية. رجوعا إلى ابن خلدون، يتبين أن نشوء الأفراد مرتبط بنشوء السلطة، بل إن السلطة شرط وجود الأفراد وتنظيمهم الاجتماعي[7].

والسلطة عموما، سياسية كانت أو غير سياسية، " لا تقوم إلا في جماعة، وعلى ذلك فإن ظاهرة السلطة عموما هي ظاهرة اجتماعية. وليست السلطة السياسية وحدها هي التي تتمتع بخاصية الاجتماعية، وإنما تشاركها في ذلك السلطات القائمة في التجمعات الإنسانية الأخرى"[8]، أي التي تحيل على مجموع العلاقات التي تعتمل بين الأفراد أو الجماعات البشرية بأكملها، من أجل الحصول على خدمات الآخر أو إخضاعه. وهو ما جعلنا نستدعي تلك المجالات الثلاثة باعتبارها حقولا تُعمل السلطة الاجتماعية عبرها فعلها التأثيري. وهذا هو المفهوم الجديد الذي منحه ميشيل فوكو (Michel Foucault) للسلطة، باعتبارها غير متمركزة في مكان واحد أي بأيدي السائدين ومن يحكمون كما يذهب إلى ذلك كارل ماركس، بل هي حاضرة في كل مكان، وغير قابلة للإمساك، مفككة وموزعة على العديد من الفاعلين كما تخبرنا بذلك سوسيولوجيا التنظيمات.

وقد استفرغت فلسفة الأنواع الوقت الكثير في تأسيس ما يمكن نعته بالسلطة الاجتماعية المحمودة، التي تمكن المجتمع والأفراد من العيش المشترك، والقدرة على تنظيم العلاقات، والتمتع بالحقوق، وأداء الواجبات. وهو مفهوم يتم فهمه في سياقات عديدة ومن خلال مناهج شتى، أهمها الزاوية التفاعلية التي تسمح بتعميق أغنى للمفهوم[9]، وفي هذا المنظور، وعلى الرغم من أن السلطة تبقى ممارستها في الإطار السياسي، إلا أن غايتها تبقى دائما اجتماعية، وفي هذا يشير ماكس فيبر بالقول: هي كل إمكانية تتيح لأحد، في علاقة اجتماعية ما، أن يفرض إرادته على الغير، بالرغم من وجود مقاومة، ولا يهم الأساس الذي تقوم عليه تلك الإمكانية[10].

وعلى هذا الأساس تكون ظاهرة السلطة حاجة لضبط الروابط الاجتماعية، لكن هذه الحاجة تتحول إلى قيمة مع الممارسة، حيث يضفي عليها الزمن عامل الموافقة والثقة من قبل أفراد المجتمع، ويدخل ذلك في سلم قيمهم الجماعية، بما يؤدي إلى نشوء التقاليد والتشريعات والهيئات التحكيمية التي من شأنها تحقيق الصالح العام للجسم الاجتماعي[11].

لكن على الرغم من كون السلطة ظاهرة اجتماعية، فهي غير قابلة للتملك بشكل مطلق، بمعنى أنه ينبغي تحديد المعايير الأساسية لهذا المفهوم بما يمنع من إمكانية تملكها بشكل مطلق إلا في سياق اجتماعي مؤطر. ولا تنفصل السلطة على طبيعة الروابط الاجتماعية الحاصلة في المجتمع، لذلك يرى تالكوتبارسونز (Talcott Parsons) أن مفهوم السلطة مرتبط بالبنية الاجتماعية، لذلك يصبح مفهوم السلطة "هي القدرة على ممارسة بعض الوظائف لفائدة نظام اجتماعي مأخوذا بكليته"[12].

مفهوم المجال

يعد المجال ملتقى معارف وعلوم وتخصصات عديدة؛ رياضيات، اقتصاد، جغرافيا، أنتروبولوجياوسوسيولوجيا وغيرها. وبقدر ما يبدو هذا المفهوم واضحا، فهو يضمر من الغموض ما يكفي، لكونه مفعم بالإيحاءات والدلالات المتنوعة، بل المتناقضة أحيانا، وحتى لا يحصل الانزياح في اعتماد هذا المفهوم، وجب تحديد المضمون المراد اعتماده هنا والدلالات والمضامين المعرفية والعلمية التي تم اعتمادها.

لا ينزاح مفهوم المجال في هذه المقالة اتجاه الحدس والطبيعة على مقاس الفلسفة الكلاسيكية إلى المقولة المنطقية الذهنية في تصور أرسطو، ولا بالإحساس الحدسي الخارجي في تصور كانط. كما لا يتماهى بشكل مطلق مع التصورات المادية في كونه ذلك المعطى الحتمي المحدد والمعيق للحريات الذهنية والفعلية. المجال هنا يتجاوز المضامين السابقة إلى مضمون تفاعلي بين المجال الموطن والمكان، والمجال باعتباره سلطة، والمجال باعتباره رمزا، والمجال باعتباره معرفة، والمجال المحدد بالزمن، والمجال الحيز الذي تظهر عليه الإنجازات البشرية وفق تمثلات الأفراد للسلطة والروابط الاجتماعية.

اختصارا، إن مفهوم المجال هنا لا ينفك عن الفهم الاجتماعي (سوسيو-مجالي) للمصطلح، حيث يتبدى المجال وفق جدل الباحث والمبحوث، في علاقته الوطيدة بالسلطة والمعرفة والمجتمع؛ المجال معنى الوجود البشري[13]، والمجال بخصائصه الذهنية والإدراكية، والمجال بأبعاده النسبية[14]، والمجال بمعالمه الواقعية الجغرافية، والمجال مسرح رهانات القُوى وصراعاتها، ثم المجال مكان تجسيد السلطة والهيمنة عبر المعرفة.

1. مقدمة

" لا يوضع المجتمع في صندوق ثلج". عبارة قالها يوما ديل إيكلمان، للدلالة على السمة الأساسية للمجتمع، وهي التغير لا الثبات. هذا الأخير الذي يستحيل باستمرار مختبرا لمختلف التغيرات الاجتماعية الناتجة عن دينامية الحركات وانبثاق الأزمات وصراع الطبقات وتأثير البيئة المادية والطبيعية للمجتمعات. وارتباطا بالتغير وبما ينتج عبره من قطيعة في التصورات السابقة للأفراد وأنماط سلوكهم وتمثلاتهم لذواتهم وللآخر، نستحضر في هذه الورقة جائحة كورونا (كوفيد -19) بوصفها حدثا كونيا ما يزال يعمل فعله

التغييري في البنيات المادية والأنساق الثقافية والنظم الاجتماعية للمجتمعات، دون أن تدري هذه الأخيرة تداعياته التي تنفتح على كل الإمكانيات والمآلات.

ولعل العودة لتاريخ الأوبئة والجوائح بمختلف دول العالم يمكن أن تطلعنا على بعض السيناريوهات التي عاشتها المجتمعات السابقة. غير أن السمة الأساسية التي نتعلمها إزاء عودتنا تلك هي درس القطيعة. فتاريخ الأوبئة يكشف عن فعلها وأثرها الذي يأتي على السرديات وأنماط التفكير والقيم وأشكال السلوك الفردي والجماعي، وتحدث داخل أنساقها هزات ورجات كفيلة بأن تحول من سماتها وخصائصها الأساسية[15]، إن لم نقل تعمل على محوها كليا. إنه يجعلنا نقف على حقيقة أنها ساهمت في إحداث قطائع عجزت عنها ثورات وانتفاضات. كما يطلعنا أيضا ذلك التاريخ عن تداعيات الوباء المدمرة التي عملت على محو وجود إنساني بأكمله بكل مقوماته الحضارية والثقافية وإبداله بوجود إنساني آخر.

لقد عمل هذا الوباء فعليا على كشف حقائق العديد من السلوكات والقناعات وأنماط التفكير والقيم التي ظلت إلى حد كبير شبه ثابتة في أذهان الأفراد والمجتمعات. سواء في منظورنا للذات أو في علاقة هذه الأخيرة بالآخر. وبالفعل استحالت لحظة الوباء لحظة كاشفة أو محللا (analyseur) لاختبار مختلف الروابط الاجتماعية سواء التقليدية منها والمستجدة، كما ستعمل مستقبلا على تغيير مجموعة من السرديات وأنماط التفكير والفعل.

لقد مرت عصور على تبني اختيارات حضارية ومعرفية موجهة. وعاشت البشرية ردحا من الزمن تحت سيطرة منظومة واحدة، فأصبحت مفاهيمها وعلومها وأدواتها وأنساقها المعرفية كأنها المطلق المنزه. في المقابل تنامت دعاوى وأطروحات نقدية ومدارس وتيارات مناهضة لهذه الأحادية المسيطرة. غير أن تمكن منظومة القيم الحالية من شرايين الحياة، المال والسلطة والإعلام، جعلها تقتحم غير مبالية، تحقق الإنجازات، وتطور التقنيات، وتنتج المزيد من السلع والبضائع والأشياء.

في خضم مناخ الانتشاء هذا، وعند أبلغ صور الاستخفاف تلك، طورت المنظومة الغالبة نظاما للامبالاة، وجعلت منه النموذج المطلق في سياق أطروحة نهاية التاريخ. لكن مجيء الوباء (كورونا فيروس) على حين غرة، قلب الحسابات رأسا على عقب، ولم يترك الحضارة الغالبة لتلتقط أنفاسها حتى اجتاح جغرافيات عديدة، لا يميز فيها بين عالم أول أو ثاني أو ثالث، فتكسرت أطروحة الحضارة التي لا تقهر، والمنظومة التي لا تغلب.

وتهدف هذه الورقة إلى رصد إرهاصات التحول الذي يعتري المجال في مستوياته الثلاثة: الكوني والوطني والأسري، جراء اجتياح وباء كوفيد19، مستقرئين هذه الإرهاصات/الوقائع من خلال مؤشرات واضحة ودالة تبرز جدلية المجال–الرابط الاجتماعي والسلطة، في تفاعلها وتكاملها.

في سبيل الكشف عن هذه الإرهاصات/المؤشرات، سنباشر رصدنا وتحليلنا على أساس مراتب. ننطلق بدءا من المجال الرحب، المشترك الإنساني الكوني، الذي تحكمه تراتبيات وسرديات واضحة هي اليوم قيد المساءلة. مرورا بالمجال المحلي/ الوطني (المغرب) لتفكيك مشاهده الاجتماعية الراهنة، وعلاقاته الفردية والاجتماعية، وإبراز أهمية القيم الكامنة التي برزت اليوم للوجود مع اجتياح الوباء. وسيكون من المفيد أن ننتقل انتهاء، في مرتبة ثالثة، إلى الوحدة البنيوية الأساسية للمجتمع، وهي الأسرة، تلك التي تتوج عادة البناء المجتمعي وتعطيه أبعاده وتعكسها في نفس الوقت، فنتوقف عندئذ لدراسة تحولات الأدوار والروابط وممارسات السلطة في ظل الحجر الصحي.

لكن وقبل استدعاء هذه المجالات الثلاثة ومحاورتها من داخل نسق روابطها وتراتباتها الاجتماعية، سنطلع القارئ بدءا في عتبة أولى على إشكالية المقال والهدف منه، لتليها عتبة ثانية نتعرض من خلالها للمفاهيم المؤطرة لهذه الورقة.

2. المجال الممتد، تحولات السلطة واختلال الروابط

يتم جزء كبير من العلاقات الدولية عبر المعاملات التجارية، فهي بوابة باقي العلاقات الأخرى، فإذا تحسنت هذه العلاقات تحسنت وسائل الاتصال بين الدول، فتزداد حركة الأشخاص وتتكاثر معها المبادلات الثقافية. ولا تأخذ العلاقات الدولية أشكالا سكونية وهادئة بشكل دائم، بل يعتريها الحذر والترقب والتنافس المستمر على المجالات الحيوية، لكون المبادلات والمصالح لا تكون دائما متساوية بين الشركاء. فهناك دول تصدير تتنافس على مجموعة مصالح من الدرجة الأولى، وهناك دول استيراد تتنافس هي الأخرى على مصالح مختلفة. ولا شك أن الوباء يجتاح اليوم المجموعتين معا، وبالتالي من المتوقع أن يخلخل هذه النماذج من العلاقات والسلط والروابط.

كان المتوقع أن يتم تحييد القضايا الإنسانية، ومنها قضية الصحة، عن منطق السوق، إلا أن العكس هو الذي حصل، فاستمر الجدال في جدوى وفعالية استعمال بعض الأدوية القديمة (حالة فرنسا)، وتأخر إيجاد اللقاحات، واستمر تسابق الشركات الكبرى نحو قرب إعلان اكتشاف الأدوية، مما أبقى على الرعاية الصحية تابعة للمنظومة الاقتصادية الرأسمالية.

1.2. تحالفات في مهب الجائحة

باستثناء بعض الشعوب والدول الواقعة تحت الحرب، والتي استفادت استثناء، وبصفة مؤقتة، من ظروف الجائحة[16]، تعاني كل الدول والتكتلات الأمرين. ومن المثير للاستغراب انكشاف علاقة الدول والأقطاب والاتحادات فيما بينها عقب الهجوم الشرس لفيروس كورونا. ولعل موقف إيطاليا من الاتحاد الأوروبي، على سبيل التمثيل لا الحصر، يعكس ملمحا من ملامح تحول العلاقة هذه. وقد رأى العالم كيف تم إنزال العلم الأوروبي من بعض الساحات، بل وإحراقه[17] ببعض المقاطعات الإيطالية مقابل رفع العلم الصيني في بعض مواقع التواصل الاجتماعي، فضلا عن تصريحات رسمية وغير رسمية، ومن خلال كبريات الصحف العالمية[18] التي تعكس ذلك الاستياء من قضايا الاتحاد والمصير المشترك. وشاهدنا عبر القنوات الفضائية المساعدات الطبية الكوبية والصينية لدولة إيطاليا وإسبانيا، مقابل غياب الولايات المتحدة التي طالما اعتبرت نفسها راعية للأمن والسلام الدوليين، في الوقت الذي ما تزال هي نفسها داخليا متعثرة في التدابير الاحترازية ضد وباء كورونا.

لقد كشفت أزمة الوباء هذه أن الرأسمالية العالمية ليست نظاما اقتصاديا فحسب، بل نظاما اجتماعيا مُمَأسساconstitué، كما تؤكد فريزر (Nancy Fraser)، لكونه ينبني على مجموعة محددة من التقسيمات، أولاها الفصل بين الإنتاج الاقتصادي وإعادة الإنتاج الاجتماعي، وثانيها الفصل بين الاقتصادي والسياسي، وثالثها، الفصل بين المجتمع البشري والطبيعة غير البشرية[19]، وبالتالي فأزمة الرأسمالية هي أزمة مركبة، اجتماعية وسياسية وبيئية. وما يزيد من أزمة النظام العالمي اليوم أن تركيبته هذه فاقدة للتماسك، فهي محط انتقاد العديد من الأكاديميين، حيث يعتبر إدغار موران (Edgar Morin) أن العولمة هي اعتماد متبادل فاقد للتضامن، مضيفا أنه بالتأكيد أنتجت حركة العولمة التوحد التقنو-اقتصادي للكوكب، لكنها لم تعزز التفاهم بين الشعوب. ومنذ بداية العولمة في التسعينات، اشتعلت الحروب وسادت الأزمات المالية. فضلا عن المخاطر التي تتعرض لها الأرض - البيئة والأسلحة النووية والاقتصاد غير المنظم – والتي أدخلت البشر في مصير مشترك، لكن البشر لم يدركوا تلك المخاطر. لقد جاء هذا الفيروس ليسلط الضوء اليوم، بشكل فوري ومأساوي، على هذا المصير. فهل سنأخذ في نهاية المطاف العبرة من ذلك؟ وفي غياب التضامن الدولي والمنظمات المشتركة لاتخاذ تدابير تكون في حجم الوباء، سنشهد الانغلاق الأناني للدول على نفسها[20].

ولعل لحظة زوال الوباء ستكشف عن الخيارات التي ستعبر عنها الدول في استمرارها داخل تحالفات إقليمية وقارية أو تغيير الوجهة إلى التعاقد مع دول وأقطاب وقوميات أخرى، مما سينعكس على الخريطة

الجيوسياسية الدولية. دون أن ننسى تنامي خطاب اليمين القومي الذي انتشر في أوروبا، والذي يرفع شعار رفض الاتحاد الأوروبي. ومع تداعيات الوباء سيعلو صوت هذا الأخير وسترتفع أسهمه، الأمر الذي من شأنه أن يهدد الاتحاد الأوروبي.

ويدعم هذه الفرضية أيضا ما عبر عنه إدغار موران، عند سؤاله عن خطاب الرئيس الفرنسي ماكرون وحديثه عن خطورة الانطواء القومي، بأن الأمر لا يتعلق بالاقتصاد والأعمال فحسب، بل أيضا بمصير الفرنسيين جميعهم، المرضى والممرضين، العمال الذين أجبروا على البطالة الجزئية. إن تلميحه (يقصد الرئيس الفرنسي) إلى نموذج التنمية الذي يجب تغييره هو بمثابة بداية. هذا يعني أن مضاد (antidote) الانطواء القومي لن يكون أوروبيا، طالما أن هذه الأخير غير قادر على التوحد بهذا الشأن، بل سيتمثل في بناء أشكال من التضامن الدولي. وهذا ما شرع فيه بعض الأطباء والباحثون من كافة القارات[21].

إنها إرهاصات مستقبل ينفتح على كل الإمكانيات التي ستتجاوز الأدوار الاقتصادية للدول والتحالفات، إذ لم يعد ذلك محط اختلاف بين السياسيين ورجال الأعمال والأكاديميين والفلاسفة، حيث يؤكد وزير الخارجية الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية أن جائحة كورونا ستغير النظام العالمي للأبد، وعلى قادة العالم إطلاق مشروع مواز لمواجهة تفشي الوباء، وهو مشروع الانتقال إلى نظام ما بعد كورونا[22].

لكن السؤال الذي يظل منطرحا هنا والآن، بشأن الدول التي تمتلك وسائل إنتاج وإعادة إنتاج الإكراه والنفوذ العابر للقارات، يتمثل في مدى استعدادها لإعادة النظر في تعاقد كوني جديد قوامه على حد تعبير الباحث عبد الرحيم العطري "الحوار والقبول والتعاون، بدلا من الاستمرار على درب التطاحن والبلطجة الدولية، في اتجاه شفير الهاوية[23]."نحن الآن إذن إزاء مرحلة يفترض أن يعود فيها العالم إلى الذات من خلال إعمال جملة من الأسئلة النقدية إزاء هذه المرحلة؛ "مرحلة مخاطرة الحداثة" بتعبير أولريك بيك (Ulrich Beck)[24]، وذلك في سبيل " التحرر من أوهام التضخم والتفوق الهوياتي، وفي ذلك كله إعادة بناء منظومات قيمية جديدة"[25].

2.2. جدلية السلطة والرعاية الاجتماعية، انفصام تغذيه الرأسمالية

أعادت جائحة كورونا العالم إلى إعادة التفكير في مسألة الرعاية soin. وشكلت لحظة الوباء هذه منعطفا أخلاقيا tournant éthique يعيد لساحة النقاش الفكري والثقافي والسياسي الرعاية باعتبارها حقا وواجبا بل شرطا للحياة ذاتها، وليست مجرد ملحق في حياة البشر. لقد تأكد اليوم، في علاقة الأفراد بالدولة والسلطة وسؤال الثقة ودولة الرعاية état providence، التنكر لمبادئ دولة الرعاية والرفاه

الاجتماعي في امتحان معركة البقاء، وفي هذا يجدر الاهتمام بثلاث قضايا أساسية؛ قضية ما بعد الجائحة وقضية الرعاية الصحية والتمكين الاجتماعي.

أظهرت الجائحة خللا كبيرا يعتري هذه المنظومة من حيث بنيتها وغاياتها، فالغاية الإنسانية غالبا ما تراجعت أمام الاهتمام المتزايد بحماية الاقتصاد وكبريات الشركات ورؤوس الأموال العابرة للقارات. وأمام هول الأحداث وتوسع رقعة انتشار الوباء، يتم السكوت الآن عن الحديث عن ما بعد الجائحة، خاصة ما يرتبط بالمستويات السوسيواقتصادية للأسر، فليست جميع الأسر في مستوى واحد من الرفاهية أو الاحتياج، فمن الأسر من تمارس الحجر داخل قصر أو ضيعة فاخرة، ومنهم من يحاصر داخل كوخ أو مسكن من القصدير أو البناء الهش، ومنهم من يسكن المدينة وإمكانية وصوله إلى البضاعة أو السلعة متاح في أسواق كبرى تحترم قانون الأسعار، ومنهم من يسكن الأحياء الشعبية أو الأرياف وإمكانية وصوله إلى السلعة، وإن توفرت، غير مؤكدة، وحتى إن كانت مؤكدة في الواقع، فبينه وبينها فراغ جيب وغياب القدرة الشرائية. وبالتالي فالمتوقع ألا تعود الحياة الاجتماعية إلى مستوياتها ما قبل الجائحة بالنسبة لشرائح اجتماعية واسعة جدا، مما يرجح تحول هذه الأسر إلى فقراء ومعوزين ومشاريع بؤر اجتماعية خامدة في وجه السياسات العمومية الرأسمالية. ناهيك عن المستقبل المخيف الذي ستشهده أوضاع الاستثمار وتعثر سير العديد من المرافق والمقاولات التي لا يمكن أن يظهر تأثير توقفها حاليا.

وفيما يخص قضايا الرعاية، فشلت جل الأنظمة الصحية وأنظمة الرعاية في الدول الصناعية حاليا، كما فشلت الأنظمة الصحية في الدول النامية بشكل متفاوت. وقد كان متوقعا أن تفشل الرعاية الاجتماعية المبنية على عقلية الربح والمقاولة والاستثمار في الدول الغربية، كونها ترجح التعامل مع الإنسان وفق مردوده الاقتصادي واحتمالية الاستثمار فيه. أما في الدول النامية فقد كانت الفاجعة صدمة حقيقية أمام انحصار الإمكانات وتزايد الفوارق الاجتماعية وحتمية العزل الاجتماعي، فتنامت احتياجات القابعين في بيوتهم دون مداخيل وفي ظل فقدان العديد من الوظائف ومناصب الشغل. ورغم المحاولات الرسمية للدولة بإعلان نوايا التضامن، تبقى هذه المساعدات غير كافية أمام ارتفاع الأسعار وضعف امتلاك السكن بالنسبة للطبقات الاجتماعية الضعيفة.

من حيث الرعاية الطبية والإنصاف الصحي، يبدو أن الدول الرأسمالية، وجل دول العالم اليوم رأسمالية بما يكفي، في حالة تنكر للوفاء لشرائح اجتماعية عريضة من المسنين، ممن أفنوا زهرة حياتهم في بناء الأوطان والدول وتنظيم وتحرير المجتمعات، والأكيد أن أياديهم بيضاء على من هم اليوم شبابا وكهولا يتصرفون في

مجريات القرارات السياسية والاقتصادية، ويحددون اتجاهات الدول. إنها حالة تنكر للأهل وللتاريخ وللهوية أيضا، وبعيدا عن التعاطي الأخلاقي، فمن باب الإنصاف تعويض هذه الأجيال، أو على الأقل تسليمها ما ادخرته من أموال وبناء وتشييد لمواجهة الوباء، وهو ما لا يمكن رده على الإطلاق.

لقد أطلعتنا مواقع التواصل الاجتماعي في بعض الدول الأوروبية كيف يتم الاستغناء عن الحالات الميؤوس منها من كبار السن، في مقابل الاهتمام بمن احتمالات شفائهم كبيرة، الأمر الذي يطرح سؤال من يقرر؟ وبخصوص هذه الفئة أعرب البروفيسور الفرنسي ديديه راؤول في حوار أجرته معه مجلة "لوفيغارو" الفرنسية[26]، اختارت له عنوان: "اتركوا للأطباء حريتهم في العلاج"، أن: "نسبة الشيخوخة عالية عندنا في فرنسا، وبالتالي يركبنا هاجس الخوف بسهولة. للأسف لم تساعدهم وسائل الإعلام، في اعتمادها التهويل؛ والتي تصور لهم الحياة وكأنها فيلم رعب طويل، حيث الخطر يقبع في مكان قريب من الشارع"[27]. مؤكدا أن هذا الوباء وباء عادي، والذي ليس عاديا بحسبه، هو أنظمتنا الصحية. أضف إلى ذلك موقف الولايات المتحدة المتأخر جدا في التعاطي الاحترازي مع الجائحة، وتغليب الربح المادي على حساب حياة الإنسان، الأمر الذي يحيل على بعض تجليات الرأسمالية المتوحشة أو رأسمالية الكوارث، وهو ما يعري بالفعل على الأنانيات المتطرفة.[28] إنه منطق مجتمع المخاطر الذي نبه إليه أولريش بيك (Ulrich Beck) قبلا، والذي ينشأ في مجريات تحديث يغض الطرف عن النتائج، ويصم آذانه عن المخاطر المحدقة[29]. فهل يمكن أن يساعدنا هذا الحجز الصحي على البدء بإزالة السموم من أسلوب حياتنا يتساءل إدغار موران[30]؟ أم إنه سينفتح على سيناريوهات أخرى ليس بإمكان أحد التنبؤ بها؟

في مستوى ثالث من معالجة قضايا الرعاية الصحية يمكن الرجوع إلى حالة عجز الأنظمة الديمقراطية والشمولية على حد سواء في خلق منظومة متوازنة بين القطاعات العسكرية ونظيراتها المدنية فيما يخص الصحة بالأساس، ورغم الاستعانة بالأطر والخبرات والأطقم والموارد البشرية العسكرية، فالملاحظ أن جل الدول بقيت حذرة ومتوجسة واضعة أولوية سلامة الأجهزة العسكرية، فكانت النتيجة أن عجزت الموارد والمؤسسات الرسمية غير العسكرية في المواجهة، وعجزت معها تلك العينات العسكرية المساهمة في العمليات الميدانية.

3.2. استغلال سياسي في زمن الجائحة

من روما إلى نيويورك، ومن طهران إلى بيكين، ومن باريز إلى برلين، لم تخل فترات اجتياح الوباء من مقاربة سياسية، سواء بالرغبة في استغلال الحدث في إظهار المواقف والآراء، أو في إظهار التعاطف ونوايا المشاركة والتضامن المادي والتعاطف النفسي. ولا يعتبر قرار غلق الحدود بعيدا عن هذا، مثلما وقع من قرار غلق

الحدود الأمريكية في وجه الأوروبيين، وما خلفه من استياء أوربي وغير أوربي على هذا القرار الذي اعتبر سياسويا بما فيه الكفاية.

من حيث المبدأ، يحصل الاتفاق في كون الاستغلال السياسي لجائحة من هذا القبيل يعبر عن جهل كامل وغياب ضمير وانعدام أخلاق إنسانية، إلا أنه للأسف، الأمر حاصل ويأخذ أشكالا متعددة ومتنوعة. في بداية انتشار الوباء في الصين، بادر رئيس الولايات المتحدة ترامب إلى تسميته بالفيروس الصيني، في إشارة واضحة إلى ضرورة ترك الصين لمصيرها المحتم. ومن جانبها تكتمت الصين على تعاملها مع الوباء والعديد من البيانات المرتبطة به إلى أن خرج عن ترابها. وبعدها قامت منتشية تتحدث عن تجاوزها مرحلة الوباء. بعد ذلك دخلنا في موجة جديدة للاجتياح، دخل الوباء الأراضي الأوربية، والأراضي الأمريكية. وقد تعامل رئيس الولايات المتحدة مع الوباء بطرق مختلفة ومتباينة، تجاهل الوباء في البداية، وكأن أمريكا غير معنية، بعدها أصيب بالرعب، لكن ذلك لم يجنب الولايات المتحدة كارثة إنسانية وسوسيواقتصادية محققة. أما الرئيس البريطاني فقد بدا وكأنه غير مقدر لهول الكارثة بتبنيه لما سماه "استراتيجية مناعة القطيع"، فكان هو كذلك أحد ضحاياها البارزين[31]. وفي إيران انتشر الوباء بشكل سريع وخلف خسائر فادحة في الأرواح نتيجة عدم التقدير الجيد في المرحلة الحاسمة، ولعل التوجس واستحضار عقلية المؤامرة جعلها تتأخر إلى الوقت الذي داهمها الوباء فحصد أرواح شخصيات مهمة في النظام الإيراني.

أوروبا هي الأخرى لم تسلم من التعاطي السياسي/الاقتصادي مع الوباء، سواء في علاقة دول الاتحاد فيما بينها، أو في علاقة بعض دول الاتحاد مع دول خارج المنظومة الأوربية. يبقى أبرزها انتفاضة إيطاليا في وجه الاتحاد الأوربي، ودخول الصين على خط اختلاف الشركاء الأعداء دشنته في 12 مارس 2020 بإرسال طائرة مساعدات تحمل على متنها 09 خبراء الصحة العامة وما يزيد عن 31 طنا من المساعدات الطبية ذات الصلة بالحماية من الفيروسات. وفي اتجاه الولايات المتحدة الأمريكية، عرض "جاك ما" الملياديرالصيني على الولايات المتحدة 500.000 وحدة لاختبار الإصابة بفيروس كورونا ومليون كمامة طبية. ومن جانبها عبرت إيران عن رغبتها في مساعدة الشعب الأمريكي كما تقول.

كما تم استغلال وضع الجائحة في إعادة إبراز الصراع الأمريكي الصيني من خلال تبادل الاتهامات بخصوص كوفيد19. وفي الوقت الذي تتهم فيه الصين الولايات المتحدة بالمسؤولية عن نشر الوباء، كشفت الاستخبارات الأميركية في تقرير لها عن تضليل الصين للعالم بسبب عدم إظهارها الكثير من الحقائق فيما يتعلق بفيروس كورونا، مما أدى إلى تفاقم المرض وتحوله لوباء عالمي. وفى تقرير أرسله مسؤولون

إلى البيت الأبيض مفاده أن السجل العام للصين للإصابات من نوع COVID-19 كان خادعا وغير مكتمل بشكل متعمد. مما أثر على الافتراضات في بلدان أخرى حول طبيعة العدوى. وانعكس على دول مثل إيطاليا وإسبانيا. ومنذ بداية الوباء، اتهمت الصين بالتغطية على الفيروس. واعتقلت النقاد والأطباء والمبلغين عنه الذين حاولوا دق ناقوس الخطر.

تبرز هذه الأحداث تحول لحظة زمن كورونا لمحاولة تسييس الجائحة من قبل بعض الأطراف والجهات، دولية ومحلية، لمحاولة قلب نسق التحالفات وإعادة بناء خارطة جيوسياسية جديدة في علاقات الدول والأقطاب فيما بينها[32].

3. المجال الوطني: سؤال السلطة واختبار الروابط

أمام عجز المنتظم الدولي عن مواجهة الوباء بشكل جماعي، وعجز كل التكتلات الإقليمية والمحلية عن ذلك، تتعالى النداءات اليوم شرقا وغربا بالعودة إلى المحلي (الوطن) واستثمار المقومات والموارد المحلية، الطبيعية والبشرية، للخروج من النفق الحالي بأقل الخسائر. أمام هذا الموقف المتنامي في جل دول العالم، سارعت كل دولة إلى استثمار مقوماتها الخاصة لمواجهة الجائحة، فانقسم العالم على نفسه فريقين، فريق الدول الصناعية الكبرى التي سارعت إلى اختيار صيغة المواجهة العلاجية والطبية والمعرفة الدقيقة بالحالة الوبائية لتحديد مستويات التدخل، وفريق الدول النامية قليلة الإمكانات، التي اختارت مرغمة مداخل اجتماعية تمثلت في التطبيق الصارم لتوجيهات الحجر الصحي والعزل الاجتماعي. وقد أثبتت النتائج أن الفريق الثاني استطاع، إلى حد كبير، مواجهة الجائحة بأقل التكاليف الاقتصادية والمالية، في حين أن الفريق الأول تكبد خسائر كبيرة، مالية ومادية واجتماعية ونفسية.

بدوره المغرب، التزم الاختيار الثاني داعيا إلى جعل قضية مواجهة الوباء قضية وطنية متعالية عن الصراعات والاختلافات بشتى أنواعها، فكانت تداعيات الوباء أقل بكثير مقابل ما حدث في الضفة الأوربية أو الأمريكية. فكيف كان إذن تدبير الدولة ومؤسساتها لقرار العزل الاجتماعي؟ وما هي أولى نتائج هذه القرارات سياسيا واجتماعيا؟

1.3. اختبار الروابط الاجتماعية بين حضور مفهوم الضبط وغياب مؤشرات المصالحة

في كل أزمة وطنية أو دولية ينتظر المجتمع قرارات الدولة باعتبارها صاحبة السلطة والمتحكمة في القرارات الإدارية والمالية وتنفيذ مقتضيات السيادة، وتزداد هذه الانتظارات في الدول والمجتمعات ذات الديمقراطيات الناشئة والمتعثرة، لكن هذه الوضعية تجعل الدولة مكشوفة على مشرحة النقد والتقييم.

في شأن العلاقات التي تربط الدولة والمؤسسات السياسية والاجتماعية مغربيا، يمكن الوقوف مع العديد من المؤشرات، منها ما كان استثنائيا، لكنه يكرس القاعدة، من قبيل تعالي بعض الأصوات من جهات وأطراف موظفة اللحظة الراهنة لوباء كورونا وتدابير الحجز الصحي بالدعوة للنيل من بعض الناشطين المعارضين داخل تنظيمات سياسية أو دعوية أو مدنية، ومما يزكي القول باعتبار هذه الاستثناءات تؤكد القاعدة[33]، هو اعتقال بعض النشطاء الإعلاميين والسياسيين وبعض الدعاة على خلفية تدويناتهم أو دعواتهم إلى الاحتجاج على قرارات الدولة[34]، مما يساهم في إرجاء كل فرصة سانحة لإعمال مصالحة بين السلطة وباقي التنظيمات المجتمعية.

وبخصوص علاقة المجتمع بالسلطة، يمكن رصد صورتين متداخلتين من النقد، فهناك دعوة مجتمعية إلى التدخل الحازم لتنفيذ مقتضيات الحجر الصحي والعزل الاجتماعي لتفادي الأسوأ، ومعه دعوة إلى عدم استعمال الشطط في التدخل، أو توجيهه بشكل انتقائي أو لأغراض غير صحية (النيل من الأطراف غير المرغوب فيها)، وهذا النقد المزدوج والمتداخل يؤكد في نفس الوقت الحاجة إلى الدولة والتخوف منها، وهي وضعية كان من الأولى أن يتم التداول في شأنها مجتمعيا لإحداث انتقال مجتمعي وديمقراطي استثمارا لظروف الوباء وحتمية التعاون.

إننا نقدر بأن زمن كورونا كان من المرجح أن يمنح أطراف العملية السياسية في المغرب وباقي الفاعلين المجتمعيين فرصة "مصالحة تاريخية" لإعادة النظر في هذه العلاقة التي ظلت ما قبل زمن كورونا موسومة بثلاثية الخوف والحذر وانعدام الثقة، إذ عكست لحظة الوباء بروز وجه "ملطف"palliatif للسلطة، وقد تمثل ذلك في اكتشاف المواطنين لجيل جديد من رجال السلطة بقدرات تواصلية كبيرة وخصال إنسانية غير معتادة، لكن تؤكد مجريات الأحداث أن قرار المصالحة هو قرار مركزي، ولا يرتبط بمواقف رجال السلطة في الجهات والجماعات الترابية.

وبالمقابل كشفت لحظة الوباء عن التعاطي الجيد للمؤسسات الرسمية المغربية، وكذا التدابير الاحترازية المتخذة، كما ينبغي التنويه بالخطوة التي أقدمت عليها لجنة اليقظة لصالح الفئات الهشة اجتماعيا[35]، وإن كانت متأخرة نسبيا، لكن التأخير يمكن استيعابه بسبب الظرفية الطارئة والتي خلقت نوعا من الارتباك، وفي نفس الآن أبانت هذه اللحظة عن مختلف مكامن الضعف والإهمال التي اعترى مجالات حيوية طالما طواها النسيان ولم يؤبه بها[36]، لكن لحسن حظ المغاربة أن الأفراد الذين يمثلون هذه المجالات أبانوا عن واجب وطني كبير، ويتعلق الأمر برجال التربية والصحة (قطاع عام وخاص) والوقاية والأمن، مما سيرسخ

مستقبلا في التمثلات الاجتماعية للأفراد هذه الصورة النبيلة لهذه الفئات، وهو ما يستحث الدولة في المستقبل القريب على إعادة النظر في هذه الفئات، وكذا المؤسسات العلمية والوقائية والأمنية التي ينتمون إليها.

لقد منح زمن الكورونا، في اعتقاد إدغار موران، الدولة فرصة التفكير المستقبلي في تحقيق الاكتفاء الذاتي غذائيا وصحيا، من خلال إعادة النظر في تنويع المحاصيل الزراعية في المقام الأول. وفي المقام الثاني، يأتي الاكتفاء الذاتي في القطاع الصحي. ففي أيامنا هذه، العديد من الأدوية والأجهزة مستوردة ومصنعة إما بالصين أو بدول أخرى، مما يجعلنا دائما تحت رحمة الآخر. وبالتالي ينبغي علينا أن نعيد النظر في توطين كل نشاط حيوي داخل الوطن، من دون الارتهان للخارج[37].

2.3. جائحة كوفيد19، تمثلات متباينة بخصوص المعتقد وعلاقات الأفراد

من الملاحَظ أن زمن الجوائح والأوبئة يستحيل باستمرار لحظة تشهد تكثيفا شديدا للتساؤل والبحث عن الأسباب والعلل الكامنة خلف الأزمة؛ بواعثها وتداعياتها، عبر جملة من التمثلات الفردية والجماعية للذات والآخر في تفاعلهما وتصريفهما للأزمة. فينصرف كل فريق، إزاء صدمة الوباء، في استدعاء نموذجه التفسيري. هذا ينصرف لنقد الأفراد، وذاك ينتصر لموقف عقدي، وآخر لادعاء علموي، غير أن كل هذه النماذج التفسيرية لا يمكنها أن تكشف حقيقة الجائحة التي تظل أبعد مما تتقدم به كل الطروحات والتفسيرات.

أحدث اجتياح الوباء في المغرب ردود أفعال متباينة تنم عن وجود تمثلات مختلفة. فبخصوص علاقة الأفراد فيما بينهم، حسب اختلاف رؤيتهم وتمثلهم للآخر، يمكن أن نعطي مثالا على الموقف الإيجابية للأفراد ببلدنا أو حتى ببلدان أجنبية من رجال التربية والصحة والأمن والوقاية، في مقابل ضعف أو غياب مواقف مشاركة وداعمة للمشاهير في مجال الفن، إلا النزر القليل، فضلا عن بروز بعض المواقف السلبية لنشطاء التواصل الاجتماعي حيال السياسة الرسمية في تعاطيها معهم. مع غياب العديد من الأثرياء، سواء مغربيا أو دوليا، لحظة اجتياح الكورونا، وتخلفهم عن مساندة شرائح عريضة محتاجة أكثر من أي وقت مضى.

بالمقابل هناك مبادرات دولية ووطنية مهمة، لكنها استثنائية، مما سيغير مستقبلا من تمثلات الأفراد للأثرياء وذوي الجاه في اتجاهين (الارتياح للمساندين والاستياء من المتنكرين)[38].

أما عن مواقف الأفراد وتمثلاتهم إزاء الغيبيات والمعتقدات، أي تلك الممارسات أو الطقوس الفردية و/أو الجماعية التي يدخل فيها الفرد/ الجماعة بخصوص التوجه للسماء. فقد لاحظنا بهذا الصدد وجود اتجاهين متعارضين بارزين، أنتجا جدالا من نوع خاص. وقد انخرط في هذا الجدل مختلف فئات المجتمع بمن فيهم

بعض الفئات "المتنورة". والحقيقة أن هذا النقاش مغلوط من الأصل[39]: أي العلاقة الجدلية بين العلم والمعتقد، فلكل واحد إواليات، وليس من اليسير على كل الخوض في جدليتهما. فضلا عن أن هذا النقاش ليس جديدا. ويتمثل الاتجاه الأول في:

- ✓ فئة أولى سارعت إلى التضرع للسماء، والتعبير عن ذلك بأشكال مختلفة فردية وجماعية ممارسة في المنزل أو الشارع العام، أو تعبيرا عنها عبر مواقع التواصل الاجتماعي. وتنقسم هذا الفئة بدورها إلى قسمين: قسم مارس نسكه الدينية بالمنزل، وقسم آخر خرج للشارع، خرقا لكل التدابير الاحترازية للدولة ولتوصيات المجتمع المدني إزاء الجائحة، مما يعيد لساحة النقاش أنماط التدين في المغرب الدخيل منها والأصيل وتوظيفاته وتأثيراته داخل فصائل هامة من الشرائح المجتمعة.
- ✓ فئة ثانية تنكر على الفئة الأولى هذا الفعل وتنعتها بالمتخلفة والرجعية، وعلى أننا بحاجة إلى العلم والمعرفة عوض الدجل والخرافة، على الرغم من أن هذه الفئة، أو جزء كبيرا منها على الأقل، لا يقدم شيئا للعلم، بل ينتج ويعيد إنتاج التضليل والاستلاب الإيديولوجي الذي تمارسه بعض الأطراف والجهات التي سماها عالم الاجتماع مصطفى محسن بـ"سماسرة الأزمات"[40] داخلية أو خارجية موظفة قضايا اجتماعية بعينها نسائية أو إثنية أو لغوية أو دينية. ولذلك فهي كثيرا ما تمارس وتدمن لعبة القفز في الهواء متناسية أن الشعب المغربي مسلم بأكمله، وعلى أن الدين الإسلامي بالرغم من حدود وتفاوت التزام الفئات المجتمعية بمقتضياته إلا أنه، أي هذا البعد الديني، ما يزال مشكِّلا ومتحكما في نفس الآن للعديد من قيم ومعتقدات وسلوكات وأنماط فعل المجتمعات العربية والإسلامية.

ويضيف إدريس مقبول بخصوص انتقاده لهذه الفئة بالقول: "صار تخصصهم إحياء صراعات سوداء باسم العلم، صراعات من القرون الوسطى تضع العلم وجها لوجه مع الإيمان، وتحيي تقابلا حديا بين العلماء والمؤمنين، وكأن كل عالم مشروط أن يكون ملحدا، وأن كل مؤمن مكتوب عليه أن يكون جاهلا معاديا للعلم[41]".مما يعكس على أننا لم نحسم بعد هذا النقاش، بما يكفل حرية التعبير والفعل لكل الأفراد سواء بخصوص الالتجاء إلى المعتقد أو بخصوص استخدام واستدعاء العلم والعقل واللذين لا يتعارضان على كل حال.

غير أن ثمة فئة ثالثة أيضا يمكن وصفها بالمعتدلة، لم تنكر على الفئة الأولى حقها في التضرع والدعاء وممارسة معتقدها، لكن تدعو أيضا إلى الالتزام واحترام كل التدابير التي اتخذتها الدولة بخصوص الحجر الصحي.

من جانب آخر، ودائما بخصوص تمثل الأفراد، فقد كشفت لحظة الوباء عن ردة فعل شريحة واسعة من المجتمع إزاء هذا الوباء. وذلك من خلال حضور مختلف أشكال النكتة التي ملأت المواقع الاجتماعية للتواصل كآلية لتصريف الأزمة، والحال أن النكت في زمن الإنترنت، كما أشار إلى ذلك السوسيولوجي عبد الرحيم العطري في مقال له[42]: باتت مثل "قذائف" عابرة للقارات والثقافات، تيسر "الإعدام السياسي" الرمزي طبعا للشخصيات المسؤولة عن ضنك الحالة السياسية، إنها تمارس "الرمي بالنكات/الرصاص"، وهو ما يؤكد وصولنا إلى درجة تحت الصفر في كل شيء. ولا أدل على ذلك ما قاله ابن خلدون في مقدمته: "إذا رأيت الناس تكثر الكلام المضحك وقت الكوارث، فاعلم أن الفقر قد أطبق عليهم، وهم قوم بهم غفلة واستعباد ومهانة، كمن يساق إلى الموت وهو مخمور".

3.3. المشهد الإعلامي باعتباره انعكاسا لمؤشرات التحول

ينقسم الإعلام اليوم أمام الجائحة إلى شقين رئيسيين، تتفرع عنهما باقي الأنماط والنماذج. فهناك الإعلام التقليدي بكافة أجناسه، والإعلام التواصلي بأشكاله المعروفة والمبتدعة. وكلاهما يركز مادته في قضايا الوباء وتداعياته. فالفرع الأول يركز على مواقف الدول والزعماء وأصحاب الآراء النافذة سياسيا واقتصاديا، والفرع الثاني يسهب في نقل المشاهد المتنوعة يوحدها هدف الاطلاع على واقع الحال وتمدد الوباء جغرافيا واجتماعيا. هذا بالإضافة إلى ملاحظة تراجع قنوات الخط الثالث، وهي قنوات ما يمكن نعته بالترويج لنظام التفاهة والبحث عن الشهرة والمال.

لكن ما يسترعي الاهتمام هي المفارقة/التماهي الحاصل في النماذج الإعلامية، حيث تركز القنوات الرسمية على إبراز تدخلات المؤسسات الرسمية وجديتها وسيطرتها على الوضع ولو نظريا واحتماليا، مع عدم إغفال المواقف السياسية من بعض القضايا التي يتم وصفها بالسيادية (معارك مصيرية، وحدة تراب وطني، أولوية سياسية). في حين أن المنابر المستقلة أو شبه المستقلة، وخاصة الدولية منها، تركز على تداعيات الوباء على مستوى الاقتصاد والعلاقات الدولية. وحيث لا يغيب الرأي في شتى أنواع الإعلام هذه، فإنها تتمايز من حيث خصوصيات هذا الرأي، الذي يتوزع بين نقمة واضحة على منتظم دولي يقف عاجزا بكل مقدراته ونفوذه أمام جرثومة غير مرئية، وبين دعوات متنوعة للتركيز على أولوية التضامن الوطني وأسبقية

معركة الوجود. وبين هذا وذاك، يرتفع صوت إعلامي آخر داع إلى العودة إلى الأمن النفسي والروحي لتحقيق معنى المشترك الإنساني وحتمية السلم الداخلي.

وطنيا يمكن رصد التغير الذي أصاب وسائل الإعلامية برمتها المكتوبة والمسموعة والمرئية. فلم نعد نقرأ على الورقي مثلا كثرة أخبار القتل والاغتصاب التي اشتهرت بها بعض الجرائد المحلية، وغاب سيل المسلسلات والبرامج التافهة التي تنتج وتعيد إنتاج الإسفاف، كما غاب أيضا الفنانون والمشاهير بسحناتهم التي تطل على المغاربة كل يوم عبر شاشات التلفاز[43]، ليملأها رجال المعرفة والتربية والأطباء ورجال النظافة والوقاية والأمن من خلال مختلف المهام والأدوار المستجدة التي أنيطت بهم خلال هذه الظرفية الصعبة.

4.3. غياب البدائل لاحتضان الفئات الهشة، نموذج الأشخاص المسنين

أعاد الحجر الصحي أيضا للنقاش ثنائية الإنسان والمجال. ويمكن رصد بعض المتغيرات التي فرضت إعادة النظر هذه من خلال أوضاع الأشخاص المسنين، وخاصة الذكور منهم، ممن اعتادوا أن يجعلوا من الساحات العامة مراكز اجتماع وتداول حميمي وقاعات ألعاب وتسلية، ومن المساجد متنفسا باعتبارها مكانهم المفضل للعبادة. وأوضاع الكهول والمسنين الذين يمارسون كذلك رياضة المشي والتنزه بالحدائق. فضلا عن مختلف الفئات التي تملأ المقاهي باعتبارها ليست فضاء لارتشاف القهوة فقط، بل هي فضاء لممارسة جملة من تدابير وإجراءات عمل ومهن الأفراد. كل ذلك ترك استياء كبيرا في نفوس هذه الفئات، وستكون لا محالة لهذا الحجر الصحي انعكاسات نفسية كبيرة من قبيل اضطرابات النوم والخوف وسرعة الانفعال والقلق والتوتر والملل والاكتئاب في بعض الأحيان .

وفي هذا السياق يؤكد آلانإبل بوان(Alain Epelboin) بأن حالة الطوارئ والحجر هذه دائما ما تعمل على سحق الإنسانية[44]. وهو ما يدفع في التفكير في أفق التعامل مع بدائل مجالية أخرى بفضاء المنزل: مكتبة، حديقة وغيرها. وما يزكي هذا الطرح هو تفاعل الشارع المغربي مع طلب الجهات الرسمية لجميع المواطنين بلزوم بيوتهم، والبقاء في منازلهم إلا لضرورة ملحة. ولاحظنا صعوبة الامتثال لهذا الاستجداء الذي يفسره ما أتينا عليه آنفا. ثم بعد ذلك تغيرت نبرة الاستجداء إلى الإلزام والإكراه، وهو ما كان من آثاره المباشرة فرض "حالة الطوارئ الصحية" وتقييد الحركة في البلاد ابتداء من يومه الجمعة 20 مارس 2020، على الساعة السادسة مساءا لأجل غير مسمى، كوسيلة لا محيد عنها للسيطرة على الوباء.

كل هذه الأوضاع تدفعنا لإعادة التفكير في علاقتنا بالمجال والمكان الذي نحيا ضمنه. فضلا عن الانتصار لكل أشكال الدعم النفسي عبر إنشاء مراكز للرعاية والمتابعة النفسية التي تكاد تغيب مغربيا. لكن تبقى دائما المبادرات الفردية قادرة على الإسهام في ملء بياضات هذا الغياب. وفي هذا الصدد لا بد من تثمين مبادرة الجمعية المغربية لعلم النفس التي قامت بمبادرة طيبة عبر صفحاتهم الخاصة بمواقع التواصل الاجتماعي لتقديم مجموعة من الآليات التي تتغيا التقليل من انعكاسات هذا الحجر الصحي على نفسية مختلف الفئات العمرية. لتليها مبادرات أخرى فردية وجماعية بخصوص نفس الغاية.

4. المجال الأسري: زمن الحجر الصحي وانبناءات الأدوار

يحتل كتاب سوسيولوجيا الأسرة المعاصرة لفرانسوا دي سينكلي مكانا مهما في سوسيولوجيا الأسرة، بالنظر لكونه ينصرف لتوضيح أن معنى وغاية الأسرة قد تغير، وتغيرت معه أهمية وأدوار كل من الرجال والنساء، وحتى الأطفال. فكل أفراد الأسرة يريد أن ينظر إليه على أنه متفرد، ما يجعل من الأسرة المكان المميز للاعتراف بالذات، الأمر الذي تستحيل معه آلية التفاوض أداة أساسية لضمان وانتزاع هذا الأخير. وبالتالي لم تعد تعرف الأسرة بالإحالة إلى مجموعة وإلى علاقات اجتماعية محددة بوضوح تحددها القوانين والعادات، ولكن وفقا للمعايير التي تؤطرها والتي تثمن في نفس الآن التعبير عن الذات والحياة المشتركة[45]. ولذلك لا تنفك مقاربات الأسرة تعرف تحولات لا تكف عن ابتداع ذاتها أمام أنظارنا حيث يصير تحديدها رهانا اجتماعيا وسياسيا على حد تعبير بيير بورديو[46].

وفي اعتقادنا فإن زمن الحجر الصحي هذا كفيل بأن يخلخل الفضاء الأسري ومعه تقسيم الأدوار وتمثلات الأفراد لهذه المهام، وللزمن الاجتماعي والمجال الاجتماعي الحميمي. ويتيح في نفس الآن الفرصة لمختلف أفراد الأسرة الواحدة لإعادة النظر في هوية الفرد وفي علاقته بالأفراد الآخرين داخل الأسرة الواحدة. فلا غرو إذن من أن يصير فضاء الأسرة مختبرا أو بتعبير آن- ماري ديفرو (Anne- Marie DEVREUX) مجالا حرا للتفاوض حول الرساميل[47]، والذي تعتمل فيه مختلف التفاعلات التي تقع بين الفاعلين، والمنتجة للتشييدات الاجتماعية (constructions sociales).

1.4. الحجر الصحي وتفاقم الأدوار الزوجية

على الرغم من كل التحولات البنيوية والثقافية التي مست الأسر، إلا أن غالبيتها ما تزال تضم كلا من الأب والأم والأبناء،باعتبارها مؤسسة تكمن وظيفتها في إعادة إنتاج الجنس البشري وإكسابه مختلف مقوماته النفسية والاجتماعية والثقافية من خلال التنشئة الاجتماعية[48]. ومن الطبيعي أن تستند هذه الأخيرة على تقاسم للأدوار والوظائف، والتي تعرضت بدورها لمجموعة من التحولات التي يطلعنا عليها

تاريخ الأبوة، خاصة في حقل الدراسات النفسية[49]. غير أن العديد من الدراسات ما تزال تؤكد على أن النساء ما يزلن يتحملن القسط الأكبر[50] من الأعباء المنزلية والوالدية. صحيح أن بعضها يشير إلى التغير الذي وقع في سلوك الأزواج الرجال، خاصة الشباب منهم، الذين أصحبوا يشاركون زوجاتهم العديد من المهام المنزلية، لكنهم في الغالب الأعم يقومون بالأعمال الوالدية خاصة (أنشطة الترميق والبستنة..)، والتي تنعتها دومينيك ميدا (Dominique Meda) ب" المهام نصف الترفيهية" (semi-loisir)، إذ غالبا ما يرون فيها هويتهم ويؤثرون القيام بها على خلاف الأعمال المنزلية (تنظيف، غسل، تبضع، طهو،..)التي لا يختصون بها ولكنهم يشاركونها أحيانا نساءهم.

وقد فرض الحجر الصحي تفاقم هذه الأدوار المنزلية بسبب غياب كل تلك الوسائط التي كانت فيما قبل زمن كورونا تعين الزوجين في تدبير التزامات البيت، حيث أسهمت نسبيا في التخفيف من عبء المهام المنزلية،ويتعلق الأمر هنا مثلا بالمساعِدة المنزلية أو أحد أفراد العائلة، فضلا عما يمنحه المجتمع من مؤسسات وسيطة من قبيل دور الحضانة والرعاية الاجتماعية وغيرها. وينضاف إلى ما فرضه هذا الوضع الاستثنائي واقعا مغايرا إلى حد كبير في علاقة ذلك بالعيش الاعتيادي للأطفال، حيث عادة ما يرتبط الأطفال بجماعة الأقران داخل المدرسة والحي وغيرها من الأفضية التي تلبي الحاجيات النفسية والعاطفية للأطفال. فجأة يجد هؤلاء أنفسهم ملزمين بالبقاء بالبيت وتمضية الوقت بأكمله مع الوالدين، الأمر الذي يطرح سؤالا ملحا ويتعلق بمن سيملأ ذلك الحيز من شخصية وبناء الطفل، والذي كان فيما قبل زمن الوباء يشغله أشخاص آخرين (جماعة الأقران، زملاء المدرسة، أصدقاء الحي..)؟

أمام هذا الوضع المستجَد، ستعرف قناعات بعض الرجال الذين لا يرون هُويتهم إلا في عملهم خارج الإطار الأسري، أو تمضية الوقت خارج المنزل بدون عمل تغيرات جوهرية، مما يُعرِض زمنهم الاجتماعي داخل الأسرة إلى مجموعة من التحولات، فلم يعد هنا والآن حضورهم بالمنزل عبارة عن "استراحة محارب"، خاصة أمام حضورهم الدائم والمستمر بالبيت. وهو ما سيدفع الرجل إلى تخصيص مزيد من الوقت للعناية بالأسرة عبر إعادة تقاسم أدوارها وأنشطتها المنزلية والوالدية.

ومن بين أوجه تعدد وتفاقم تلك الأدوار كون أن الأب سيستحيل في هذه اللحظة: أي بعد زمن الكورونا، مخبرا (informateur) عليه الإجابة على وابل الأسئلة التي يطرحها الأطفال سواء بخصوص الوباء المستجد ومختلف الأسئلة والقضايا المرتبطة به، أو تلك الأسئلة التي تخص معيشهم اليومي. ومعلما (enseignant) يدرس معهم واجباتهم الدراسية بشكل مستقل وعبر آلية التعليم عن بعد، إما عن

طريق المشاركة في الأقسام الافتراضية أو في مجموعات تعليمية عبر الفايسبوك أو الواتساب. ومرجعا (référent)يئيبون إليه لحظة مواجهتهم لكل مشكلة، ومؤيدا (supporteur) معززا للقرارات التي يتخذونها. وصديقا (ami) أيضا يصيخ السمع لهواجسهم، ويضفي الطابع العاطفي على الجو الأسري. ومتزلفا (cajoleur) أحيانا لينعم بالهدوء داخل الأسرة.

إنها وظائف/ مهام تنفرض على الأسرة اليوم إزاء ما تفرضه الظرفية الراهنة من جهة، وإزاء ما يفرضه مجتمع المعرفة والتحولات التقنية والثقافية والقيمية من تحديات من جهة ثانية، في سبيل تطوير الثقة والاستقلال الذاتي والقدرة على الاختيار لدى النائشة[51]. كل تلك الوظائف تشير على أنه لا توجد طريقة واحدة لأن تكون أبا اليوم، ولكن هناك العديد من الطرق والوضعيات التي تختلف باختلاف الرساميل المادية والرمزية والاجتماعية للأسر. لكن في جميع الأحول نعتقد في أنّ أشكال التّضامن ستقوى أكثر بين الأطفال وآبائهم.

فالرهان إذن مطروح على مدى قدرة الوالدين على لعب كل هذه الأدوار لملء تلك المساحات من التفاعلات التي كان يعيشها الأطفال والتي تقلصت بشكل كبير لحظة زمن الكورونا. إنها لحظة عنوانها الأساس الابتعاد الاجتماعي عن الخارج والقرب الاجتماعي بالداخل. هذا القرب الذي سيعمل على تراجع السلطة الأبوية لصالح المناخ العاطفي عبر تمديد شعور العاطفة هذا بين الأب والطفل، بما ستكون له انعكاسات على التنشئة الاجتماعية للطفل. وبقدر ما سيجد مختلف الفاعلين (أم ، أب، أبناء..) داخل المجال الأسري صعوبات،بسبب فيض قيمة الوقت لحظة زمن الكورونا، في الاندماج مجددا وتأدية كل تلك الأدوار التي يفرضها القرب الفيزيائي والمساحة المشتركة التي أتينا عليها سابقا، إلا أن هذا الزمن "الفائض"، كما يعبر عن ذلك مصطفى الشكدالي[52]، بمقدوره أن يشكل حافزا للخلق والإبداع ومرحلة لترسيخ مصالحة مع الذات أولا ومع باقي أفراد الأسرة، بالشكل الذي يسهم في إعادة بناء الأسرة باعتبارها رابطا اجتماعيا حيويا.

وبالنظر لأبرز خصائص الأسرة المعاصرة التي يميزها عمل الأبوين خارج الإطار الأسري، ما يجعل أحدهما أو كلاهما يغيب عن مختلف لحظات النمو العاطفي للأطفال، فقد أتاح زمن الكورونا فرصة لمعظم الآباء ليقفوا على حقائق جديدة وربما مرعبة تخص أبناءهم وترتبط بتكوينهم النفسي والعاطفي، والذي تترتب عليه آثار سلبية على تنشئتهم الاجتماعية. وبالتالي ففي اعتقادنا فقد فرض الحجر الصحي على مجموعة من الأسر إعادة النظر في الأدوار التنشئوية المختلفة والتي تراجعت عنها الأسرة لفترة من الزمن لصالح كل من المدرسة وجماعة الأقران والإعلام والشارع.

وبالحديث أيضا عن الزمن الاجتماعي للأسرة، وبفضل الحجر الصحي يضيف إدغار موران قائلا : " لقد استعدنا زمننا الاجتماعي الذي كان فيما قبل مُتقَطَّعا ومحسوبا، وانفلت من تلك الحلقة المفرَغة: المترو، الشّغل، البيت. إنّنا نستطيع اليوم أن نستعيد ذواتنا، وأن نتدبّر احتياجاتنا الحقيقيّة، وأقصد هنا: الحبَّ والصّداقة والحَنان وشِعرَ الحياة.. فقد يعيننا الحَجرُ الصحيّ على أن نشرعَ في القضاء على ما يُسمّم نمط معيشنا، وفي فهم أن العيش بامتلاء، معناه أن نجعل "الأنا" جَذْلى، ولكنّها تكون دوما في صُلب "النّحن" المتنوّعة"[53].

2.4. الزمن الاجتماعي للنساء وإكراه التوفيق بين العمل المنزلي والمهني

فرض الحَجر الصحي إمكانية جديدة للفت الانتباه للعمل المنزلي للنساء ولتكلفته المادية والنفسية، بما يحيل فعليا على زمنهن الاجتماعي. بل إننا نعتقد أن هذه العودة المكثفة للعمل المنزلي بالنسبة للنساء التي فرضتها ظروف الحجر الصحي كفيلة بأن تشير إلى أهمية ومركزية هذا العمل، بما يسهم في التفكير مستقبلا فيما سييسر على النساء مسألة التوفيق بين العمل المهني وخارج العمل "hors travail" باعتباره إكراها تعيشه معظم النساء النشيطات[54]. وهو نقاش لا بد أن تقوده النسويات وتساهم فيه الجمعيات والنقابات والأوساط السياسية للدفع بالإدارات والشركات والمقاولات والتنظيمات النقابية ومختلف الفاعلين الاجتماعيين إلى محاولة التوفيق بين أوقات العمل وحاجيات النساء من دون أن يؤثر ذلك على وضعهن ورهاناتهن المهنية[55].

وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى النساء اللواتي يتعرضن خلال هذه الأيام لضغوط نفسية شديدة. ويتعلق الأمر بالنساء اللائي يشتغلن بالميدان الصحي (مسعفات، ممرضات، طبيبات). فبالإضافة إلى ظروف الطوارئ الصحية التي تمارس ضغوطا مهنية قوية على النساء داخل التنظيمات الصحية، ينضاف الضغط الأسري سواء بخصوص الأطفال أو الزوج. وقد شاهدنا بمواقع التواصل الاجتماعي، سواء بالدول الأجنبية أو ببلدنا، حجم المعاناة التي تعيشها هؤلاء النساء. حيث عبرت إحدى النساء المغربيات على لسان زميلاتها في العمل على أن بعضهن قطعن فترة الرضاعة للعودة للعمل، والبعض الآخر لا يزال يتعرض لضغط الزوج، وهناك من وضع زوجته بين خيار العمل أو العودة للمنزل، وداخل هذا الجو المشحون يوشك أن تتسرب إليه بعض من مظاهر العنف الرمزي الممارس على النساء.

ويمكن أن نعزو هذا الأمر لتمثلات اجتماعية مختلفة سواء إزاء المرض/ الوباء وكذا القلق الذي ينتج عنه، أو بخصوص عمل المرأة المهني بصفة إجمالية، وغيرها من العوامل المرتبطة ارتباطا وثيقا بمنظومة القيم وأنماط

السلوك الفردي والجماعي للأفراد. الأمر الذي يكشف على حقيقة أن المرأة اليوم تواجه وتفاوض على أشكال وجودها على أكثر من واجهة داخل الأسرة وبفضاء العمل، بما يفترض هذه الوجود من أدوار ومهام وإكراهات أحيانا. وبالطبع تختلف أشكال هذا الوجود والفعل تبعا للتجربة الذاتية لحياة كل منهن، والتي تظل في تفاعل دائم ومستمر مع شركائهن داخل الأسرة وزملائهن بالعمل.

ولذلك، وكما أشرنا إليه في مقدمة الورقة، فستستحيل لحظة زمن الوباء هذه فرصة لإعادة النظر في العوائد وأنماط الفعل والسلوك التي كانت من قبل تحدد علاقاتنا كأفراد داخل الأسرة الواحدة.ولعل الحضور الدائم/المفروض للوالدين هو الذي سيعيد النظر في التعاطي مع كل مكونات الأسرة واختلاف رغبات وهواجس وتطلعات كل فرد. لقد استحالت الأسرة فجأة فضاء تعتمل بداخله مختلف التفاعلات الاجتماعية بالشكل الذي دفع الفاعلين داخل نسقها بإجراء جملة من التوافقات والتفاوضات لتدبير مرحلة التواجد المستمر بما يحفظ لكل فرد هويته ويضمن له حقه في الوجود والاعتراف، وبما يعود على الجميع بالنفع والاستفادة.

ويبقى سؤال الورقة الأساس، في ارتباط مع وباء كورونا المستجِد، هو التساؤل حول بشأن الأسرة: هل ستظل، على حد تعبير كوليت كيومين (Colette Guillaumin)، ذلك المكان المفضل الذي يُعَبَر/ يلاحظ من خلاله على تَمَلُك النساء، والتعبير الفردي والواجهة المؤسساتية (التعاقدية) لعلاقة مُعَمَمة[56]. أم ستسهم هذه اللحظة في القطع مع مختلف تجليات "القهر الأنثوي" الذي تعيشه النساء، والتأسيس لزمن الاعتراف المتبادل؟

5. خاتمة

تندرج هذه الورقة في إطار خط ثالث من النظر والتحليل، فلا هي تزكية لحالة الما قبل، ولا هي انتصار لتيار الما بعد، ومرد ذلك إلى أنها ترى أفق تحولات كبيرة بدت إرهاصاتها منذ زمن، وزادتها جائحة الوباء بروزا وتوهجا. والورقة هي محاولة لالتقاط هذه المؤشرات الموزعة في جغرافيات عديدة، وبين ثنايا طبقات اجتماعية متنوعة، وبين سطور خطابات رسمية وآهات المئات، بل الآلاف والملايين، ممن نالوا من هول الاجتياح نصيبا وافرا.

تقدر الورقة أن ثمة عينات من الوقائع والأحداث والتحولات التي ينبغي الاهتمام بها في سياق التنبؤ والاستعداد، وهي موزعة بين مجالات ثلاثة متراتبة؛ في المستوى الأرحب، هناك المشترك الإنساني الذي ضاق ذرعا بما أنتجته الحضارة الآنية من سلع وبضائع هو الآن عاجز عن الاستمتاع بها رغم الحاجة الملحة إليها، وقد تعالت الأصوات أن لا جدوى من منظومة إنسانية ومنتظم دولي يتحد الآن لإعلان الحاجة إلى

التفرقة. وفي مستوى أوسط، وقفت الورقة مع موقع الوطن/المغرب، الذي يقف قراره الرسمي في منزلة بين المنزلتين، فلا هو في موقع الما قبل الجائحة من حيث العلاقات الاجتماعية والمسافة بين الدولة والمجتمع، ولا هو في الموقع النقيض، يستفيد من فرصة الالتحام الشعبي ويقظة الضمير الجمعي النائم منذ زمن.

وإذا كان المستويان السابقانيرمزان بشكل مكثف إلى ما يصبو إليه طرح الورقة من إرهاصات، فإن المستوى الثالث من التحليل، المتعلق بتحولات الأسرة، يمثل رمزيته الخاصة،فالأسرة تتميز عن باقي المؤسسات الاجتماعية بكونها فضاء يحقق عبره كل الأفراد ذواتهم. وذلك راجع للبعد العاطفي والعلائقي الذي يغمرها. صحيح أنها تعرضت، كما يخبرنا بذلك دوسانكلي، لمجموعة من التغيرات التي مست معنى هذه الأخيرة وكذا أدوارها، ما يحيل على أنه صار لكل فرد دورا ومساحة وزمنا اجتماعيا يشبع من خلاله رغباته النفسية والاجتماعية، إلا أن الظروف الراهنة التي تمر بها الأسر اليوم كفيلة بأن تحولها إلى مختبر جديد لتفاعلات مختلف الفاعلين داخل الأسرة الواحدة.

6.قائمة المراجع

مراجع عربية:

إبراهيم، بلوح . (2016)،عمل المرأة المأجور وأشكال التفاوض حول الأدوار الزوجية في الأسرة المغربية: حالة المرأة الإطار بمدينة القنيطرة، كلية الآداب القنيطرة: ، رسالة ماجستير، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة،.

إحسان، عبد الهادي النائب. (2017)،مفهوم السلطة وشرعيتها: إشكالية المعنى والدلالة، القاهرة: منشورات المؤتمر العلمي الأول.

أنتوني،غدنز بمساعدة كارين، بيردسال. (2001)، علم الاجتماع مع مدخلات عربية، ترجمة وتقديم: فايز الصباغ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

أولريش، بيك. (2013)، مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمل المفقود: ترجمة علا عادل وآخرون، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

عبد الوهاب، الكيالي. (1993)، موسوعة السياسة، ج3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

علي، بن مخلوف ومحمد،جنجار. (2012)،مفردات الفلسفة الأوربية الفلسفة السياسية، بيروت: المركز العربي الثقافي.

فليب، برو. (1998)، علم الاجتماع السياسي، ترجمة محمد عرب صاصيلا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

محسن، مصطفى. (2018)، في الثقافة والاختلاف، نحو مقاربة سوسيوثقافية للمسألة النسائية، ط1، الدار البيضاء:: المركز الثقافي للكتاب.

محمد الأمين، البزاز. (1992)، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سلسلة رسائل وأطروحات.

محمد عابد، الجابري. (1982)،المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي، الدار البيضاء: دار النشر المغربية.

محمد وقيدي، الإبستيمولوجيا التكوينية للعلوم، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2010.

ميشيل، فوكو. (1994)، المعرفة والسلطة، ترجمة: عبد العزيز العيادي، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

نانسي، فريزر. (2017)،نحو تصور أوسع للرأسمالية وأزماتها، ترجمة دعاء علي، نيويورك: منشورات جامعة كوني.

مراجع أجنبية:

Claval, P. (1978), Espace et Pouvoir, Paris : PUF.

Anne- Marie D. (2004), Famille, Paris : PUF.

OlivierD. (1970), L'Espace géographique, Paris : PUF.

Dominique M. (2008), le temps des femmes : pour un nouveau partage des rôles, Champs actuel, Paris : Edition revue.

François de S. (2007), Sociologie de la famille contemporaine, Paris : Armand Colin.

Jean- Hugues D. (2007), Sociologie de la famille, Paris : La Découverte.

Serge P. (2008), Le lien social, Paris : Presses universitaires de France.

مواقع إلكترونية:

http://www.attali.com/societe/que-naitra-t-il.

https://www.ibnghazicenter.com.

https://www.lemonde.fr

https://www.nouvelobs.com/art.

https://www.sawtbeirut.com.

https://www.scienceshumaines.com/ Lettre n°554.

https://www.trtarabi.com.

https://www.valeursactuelles.com.

www.aljazeera.net/news/politics.

7.الهوامش

[1]Trémoulinas A., « Introduction », dans : Alexis Trémoulinas éd., *Sociologie des changements sociaux*. Paris, La Découverte, « Repères », 2006, p.7. URL :https://www.cairn.info/sociologie-des-changements-sociaux--9782707146285-page-3.htm, p: 10. Consulté le : 01.04.2020.

[2]أنتوني غدنز بمساعدة كارين بيردسال، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)، ترجمة وتقديم: فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الرابعة، 2001، ص 113.

[3]Claval P., Espace et Pouvoir, PUF, 1978, pp 23-27.

[4]Paugam S., Le lien social, Presses universitaires de France, coll. « Que sais-je ? », 2008, p 4.

[5]Idem,p98.

[6]Idem, p 6.

[7] مصطفى العوزي، في مفهوم السلطة، الحوار المتمدن، عدد 2425، يناير 2009.

[8]ميشيل فوكو، المعرفة والسلطة، ترجمة: عبد العزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، 1994، ص 44.

[9]فليب برو، علم الاجتماع السياسي، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1998، 24.

[10]علي بن مخلوف ومحمد جنجار، مفردات الفلسفة الأوربية الفلسفة السياسية، المركز العربي الثقافي، بيروت، 2012، ص 200.

[11] عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993، ص 215.

[12] إحسان عبد الهادي النائب، مفهوم السلطة وشرعيتها: إشكالية المعنى والدلالة، منشورات المؤتمر العلمي الأول، ماي 2017، ص ص 63- 80.

[13]Dollfus O., L'Espace géographique », PUF, Paris, 1970, pp 09-27.

[14]محمد عابد الجابري، المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ص ص 230-232.

[15]بمجلة "جيو بوليتيك" نقرأ لجاك أتالي مقالا يقول فيه: " لمدة ألف عام، أدى كل وباء كبير إلى تغييرات أساسية في التنظيم السياسي للأمم وثقافتها الأساسية. وعلى سبيل التمثيل لا الحصر يضرب مثالا بالطاعون في القرن الرابع عشر الذي تسبب في نقص كبير لعدد سكان أوروبا بمقدار الثلث، وبالتالي ساهم في التساؤل الجذري للسياسي والديني والكنيسة." للمزيد من التفصيل، أنظر على الرابط التالي: https://www.alarabiya.net/ar/politics/.html

وللعودة للنص الأصلي بالفرنسية أنظر على الرابط التالي/http://www.attali.com/societe/que-naitra-t-il

وبالمغرب يتحدث محمد الأمين البزاز في منجزه "تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"، عن شمال المغرب الذي أصيب بضمور ديموغرافي كبير نظرا لما تعرض له خلال سنوات الجفاف المتكررة والأوبئة وخاصة الطاعون، أو ما كان يدعوه المغاربة بـ "بوكليب لكحل". وقد ظلت قبائل الصحراء هي المزود الرئيسي لشمال ووسط المغرب بالعنصر البشري، نظرا لكونها لم تصب بما أصاب الشمال والوسط من جوائح. أنظر:

محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات، العدد: 18، المغرب، الرباط، 1992.

[16] عمليا توقفت العديد من الحروب لأن الدول القائدة والمتزعمة لها تشهد أوضاعا استثنائية مع اجتياح الوباء.

[17]https://www.valeursactuelles.com/consulté le 03.04.2020.

[18]https://www.lemonde.fr/idees/article/2020/03/25/marc-lazar-plus-l-italie-fait-nation-face-a-l-epidemie-plus-elle-s-eloigne-de-l-union-europeenne_6034375_3232.html, consulté : le 29.03.2020.

[19] نانسي فريزر، نحو تصور أوسع للرأسمالية وأزماتها، ورقة مقدمة في ندوة جامعة Cuny في نيويورك، ترجمة دعاء علي، نونبر 2017.

[20]https://www.nouvelobs.com/art/f403e5b5-3339-403b-9bd0-83a3923fb0f6.

[21]https://www.nouvelobs.com/art/f403e5b5-3339-403b-9bd0-83a3923fb0f6.

[22] مقال في صحيفة وول ستريت جورنال، نقلا عن موقع شبكة الجزيرة، 4 أبريل 2020:

www.aljazeera.net/news/politics/2020/4/4

[23]https://www.trtarabi.com.

[24]أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمل المفقود: ترجمة: علا عادل، وهند إبراهيم، وبسنت حسن، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2013، ص 207.

[25]https://www.trtarabi.com.

البروفيسور ديديه راؤول، مدير المعهد المتوسطي لمكافحة الأمراض المعدية في مرسيليا. أثار جدلا في الأوساط الفرنسية والدولية وقد نشر قبل أيام فقط دراسة على 80 مريضا، كشفت عن تخفيض حمولة الفيروس في كل مرة يستخدم فيه الكلوروكين. وهناك الآن أزيد من عشر دول في العالم، يوصون بهذا العلاج.

[27]https://www.facebook.com/boudaoud.amier?

[28] بهذا الصدد يمكن العودة لخطابات رئيس الولايات المتحدة التي دعا فيها في بداية الوباء الشركات والمقاولات إلى الاستمرار في العمل دون الأخذ بتدابير الحجر الصحي الذي لم يعمل به إلا بعد ما انتشر الوباء بولاية نيويورك. فضلا عن موقفه الذي عبر عنه باستياء عمدة أنتاريو السيد دوك فورد، من الاتفاقية التجارية للأقنعة بين شركة M3 وولاية أنتاريو بكندا، إذ أوقف ترامب هذه الاتفاقية في بداية الأمر هذه بمرسوم رئاسي، الأمر الذي يعكس عدم احترامه لكل الأعراف والاتفاقيات التجارية. ولمزيد من التفاصيل يمكن العودة للرابط التالي:

https://www.cp24.com/news/trump-s-decree-stopped-3m-from-filling-ontario-s-mask-order-ford-1.4882700

[29]أولريش بيك، مجتمع المخاطر العالمي: بحثا عن الأمل المفقود: المرجع السابق، ص 207.

[30]https://www.nouvelobs.com/art/f403e5b5-3339-403b-9bd0-83a3923fb0f6.

[31] أصيب الرئيس بوريس جونسون بالوباء وتدهورت أوضاعه الصحية إلى أن دخل العناية المركزة وفوض صلاحياته لوزير الخارجية في السادس من شهر أبريل 2020.

[32] للمزيد من الاطلاع، يرجى العودة للموقع: https://www.sawtbeirut.com.

[33]نتحدث عن قاعدة الاختلاف والمناقضة الموجودة بين الدولة وبعض الأطراف السياسية والمدنية الموصوفة بالمعارضة.

"[34]تم اعتقال أمين الحسناوي ووضع بالسجن المحلي بالرشيدية، وحكمت عليه المحكمة يوم الخميس **9 أبريل 2020**، بشهر نافذ مع غرامة 6500 درهم، كما تم اعتقال ياسر عبادي نجل الأمين العام لجماعة العدل والإحسان المغربية على خلفية تدوينات على شبكات التواصل الاجتماعي.

[35] هناك بعض الإشكالات التي ستثيرها قضية الدعم، منها قضية تفاوت الاستفادة دون معايير موضوعية (معيار التسجيل في الضمان الاجتماعي)، قضية تباين دعم الدولة بين الدعم المقبول للمقاولات مقابل دعم ضعيف للأسر والفئات المعوزة.

[36] لقد سبق وتم التعبير والتنديد بهذا الإهمال من خلال الرسائل السلمية بمختلف أشكال تمظهراتها التي عبر عنها حراك الريف وجرادة وغيرها من جهات المغرب.

[37]https://www.nouvelobs.com/art/f403e5b5-3339-403b-9bd0-83a3923fb0f6.

[38]على سبيل التمثيل لا الحصر، موقف جورج أرماني الإيطالي وصاحب موقع علي بابا الياباني من الوباء ومساهمتهم العينية الكبيرة لمحاربة الوباء.

[39]عبر إدريس مقبول بشكل دقيق عن هذه الوضعية بالقول: " كلا الفريقين مشغول بأسئلة مغلوطة، لأن كل واحد منهما في الواقع يقتات بريع ما يشغل به الجمهور ويلهيه عن أداء دوره....ويخوض الفريقان مبارزات الديكة.. وليس يكاد التعجب ينقضي ممن يتركون مصدر تخلفنا؛ أعني الاستبداد الذي أفسد الدين والعلم على حد سواء، ويشغلون الجمهور بمعارك الوهم. لمزيد من التفصيل،أنظر :https://www.ibnghazicenter.com/.

[40]مصطفى محسن، في الثقافة والاختلاف: نحو مقاربة سوسيوثقافية للمسألة النسائية، الطبعة الأولى، المركز الثقافي للكتاب- الدار البيضاء- المغرب، 2018.

[41] ادريس مقبول، الرابط نفسه.

[42]https://www.trtarabi.com.

[43]هذا بشكل عام، لكن هناك استمرارية يمكن رصدها بالنسبة للقناة الثانية M2 على الخصوص، التي لا تزال تبث العديد من البرامج الغنائية على الخصوص، وهو ما أصبح محط سخرية وانتقاد من قبل العديد من رواد التواصل الاجتماعي.

[44]https://www.scienceshumaines.com/ Lettre n°554 - Lundi 30 Mars 2020, consulté le: 25/03/2020.

[45] De Singly F., Sociologie de la famille contemporaine, 6ème Ed. Paris, Armand Colin, 2007.

[46]Déchaux J- H., Sociologie de la famille, La Découverte, Paris, 2007, p 3.
[47]Devreux A- M., « Famille » in dictionnaire critique du féminisme. 2eEd. PUF, 2004, p 75.
[48]Devreux A- M., «Famille» in dictionnaire critique du féminisme. Op. cit, p 72.
[49]للمزيد من التفصيل بخصوص تحولات الأبوة، أنظر المقال:

QuéniartA. etImbeault J.-S. (2003). La construction d'espaces d'intimité chez les jeunes pères. Sociologie et sociétés, 35 (2), p 84.

[50] إبراهيم بلوح، عمل المرأة المأجور وأشكال التفاوض حول الأدوار الزوجية في الأسرة المغربية: حالة المرأة الإطار بمدينة القنيطرة، رسالة ماجستير، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2016.

[51]Quéniart A. et Imbeault J.-S. (2003). La construction d'espaces d'intimité chez les jeunes pères. Sociologie et sociétés, 35 (2), p197.
[52]https://www.facebook.com/mustapha.chagdali?Consulté le 01.04.2020.

[53] ترجمة: محمّد الشّيباني، معجم الدّوحة التّاريخيّ للّغة العربيّة. المصدر: المجلّة الفرنسيّة، L'OBS، عدد 18، مارس 2020.
أنظر: https://www.nouvelobs.com/art/f403e5b5-3339-403b-9bd0-83a3923fb0f6

[54]Dominique M., le temps des femmes : pour un nouveau partage des rôles, Champs actuel, Edition revue, Paris, 2008, p 28.
[55] Dominique M., op cit., p 151- 152 et 168-169.
[56]Daune A- M. etDevreux A- M., « Rapports sociaux de sexe et conceptualisation sociologique » in recherches féministes, vol. 5, n° 2, 1992, p 9.